حَتْمِيّة

صراع الحضارات

حَتْمِيّة

صراع الحضارات

حزب التحرير

صفر ١٤٢٣هـ – أيار ٢٠٠٢م

المحتويات

المحتويات ٣
مفهوم الحضارة ٤
مفهوم الحوار بين الحضارات ١٠
فكرة المساواة بين الحضارات ٢٠
فكرة قبول الآخر ٢٣
فكرة البديل الحضاري ٢٩
الصراع بين الحضارات ٣١
أوجه صراع الحضارات ٤٨
الصراع الفكري ٤٨
الصراع الاقتصادي ٥٣
الصراع السياسي ٥٧
الصراع العسكري ٦٢
شُبَهُ نفاة الصراع الحضاري في الإسلام ٦٨
رد شُبَه منكري جهاد الطلب ٧٦
خاتمة ٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

مفهوم الحضارة

الحضارة هي مجموع المفاهيم عن الحياة. وهذه الحضارة إما أن تكون دينية إلهية وإما أن تكون وضعية بشرية. فالحضارة الدينية الإلهية تكون منبثقة عن عقيدة وذلك كالحضارة الإسلامية فإنها منبثقة عن العقيدة الإسلامية. أما الحضارة الوضعية البشرية فهي إما أن تكون منبثقة عن عقيدة كالحضارة الغربية الرأسمالية التي هي مجموع مفاهيم عن الحياة منبثقة عن عقيدة فصل الدين عن الحياة. وإما أن تكون غير منبثقة عن عقيدة كحضارة الشنتو أو اليونان أو بابل أو آشور. وهذه الحضارة هي مجموعة مفاهيم عن الحياة اصطلح عليها شعب أو شعوب فهي حضارة شعبية أو وضعية.

على أنه قد تكون لشعب أو شعوب دين وعقيدة ما، إلا أن هذا الدين ليس فيه مفاهيم عن الحياة، كالنصرانية والبوذية، فيتواضع الناس على مفاهيم عن الدنيا خاصة بهم، هذه المفاهيم

تشكل حضارتهم، ولا علاقة لها بدينهم لأنها ليست منبثقة عنه، فلا تكون حضارتهم دينية رغم أن لهم ديناً. وعليه فإنه يمكن أن تشترك عدة شعوب في حضارة واحدة رغم اختلاف أديانها كاليابانيين والهندوس والسيخ والفرنسيين، فدياناتهم مختلفة وحضارتهم واحدة هي الرأسمالية.

والأشكال المادية للأشياء الملموسة التي تستعمل في شؤون الحياة ليست من الحضارة وإن كانت ناتجة عنها أحياناً، ولا مانع من أن نصطلح على تسمية هذه الأشكال المادية الملموسة لفظ [مدنية] لتمييزها عن مجموع المفاهيم التي أطلقنا عليها لفظ [الحضارة]. وهذه الأشكال المادية إن كانت ناتجة عن حضارة معينة كالتماثيل فهي من المدنية الخاصة، وإن كانت ناتجة عن العلم والصناعة كانت مدنية عامة كالتلفاز والصاروخ والطائرة والتلفون والبنسلين وغيرها. فالمدنية تكون خاصة وتكون عامة، بخلاف الحضارة فإنها لا تكون إلا خاصة، ومعنى الخصوصية متعلق بالأخذ عندنا، فما كان خاصاً لا يجوز أن نأخذه من غيرنا، وما كان عاماً يجوز أن نأخذه.

فالتفريق بين الحضارة والمدنية يلزم أن يلاحظ دائماً، كما يلزم أن يلاحظ التفريق بين الأشكال المدنية الناجمة عن

الحضارة، وبين الأشكال المدنية الناجمة عن العلم والصناعة، وذلك ليلاحظ عند أخذ المدنية التفريق بين أشكالها، والتفريق بينها وبين الحضارة، فالمدنية الغربية الناجمة عن العلم والصناعة لا يوجد ما يمنع من أخذها، وأما المدنية الغربية الناجمة عن الحضارة الغربية فلا يجوز أخذها ولا بحال من الأحوال، لأنه لا يجوز أخذ الحضارة الغربية لتناقضها مع الحضارة الإسلامية في الأساس الذي تقوم عليه وهو العقيدة، فعقيدتنا غير عقيدتهم القائمة على الحل الوسط وفصل الدين عن الحياة، وفي تصوير الحياة الدنيا أو مقياس الأعمال فهو عندنا الحلال والحرام وعندهم المنفعة، وفي معنى السعادة التي هي الطمأنينة الدائمة وهي عندنا نوال رضوان الله وعندهم المتع الجسدية.

فمن أجل أن نكون على بينة مما نأخذ من غيرنا وما نذر كان لا بد من التفريق بين الحضارة والمدنية، ولا بد من التفريق بين المدنية الناتجة عن مفهوم حضاري والمدنية الناتجة عن محض العلوم والصناعات.

فإن قيل لِمَ اصطلحتم على المفاهيم أنها حضارة وعلى الأشكال المادية أنها مدنية ولم يكن العكس؟ فإن الحضارة في اللغة هي الإقامة في الحضر، والحاضر هو المقيم في المدن والقرى،

قال القطامي:

فَمَنْ تَكُنِ الحَضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ فَأَيُّ رِجَالِ بَادِيَةٍ تُرَانَا

ومَدَنَ بالمكان أقام به، ومدن أتى المدينة، فالمعنيان متقاربان، قيل في الجواب على هذا التساؤل: إن الحضارة استعملت في اللغة للمعاني المتعلقة بالأفكار فهي أقرب إلى استعمالها في المفاهيم، فقد قال في القاموس: [حضُر (بضم الضاد) كندُس: الرجل ذو البيان والفقه، وفي اللسان: رجل حضْر بتسكين الضاد ذو بيان، ورجل حضِر بكسر الضاد إذا حضر بخير]. وورد في اللسان أيضاً [وفي الحديث: «**قُولُوا مَا يَحْضُرُكُمْ**» أي ما هو حاضر عندكم موجود ولا تتكلفوا غيره]. فالحضارة أقرب وأنسب وأكثر ملاءمة في الاستعمال لمجموعة المفاهيم من المدنية. والمدنية أقرب في الاستعمال للأشكال المادية. وقد قيل لا مشاحة في الاصطلاح، فالمهم هو التفريق بين المفاهيم والأشكال المادية الناتجة عنها، وبين الأشكال المادية الناتجة عن محض العلوم والاختراعات والصناعات، فنرفض الأولى ولا يجوز أن نأخذها، ويجوز أن نأخذ الثانية.

قلنا إن الحضارة هي مجموع المفاهيم عن الحياة، وهي إما أن تكون دينية أو وضعية، ومن أمثلة الدينية الحضارة الإسلامية،

ومن أمثلة الوضعية الحضارة الهندية والحضارة الرأسمالية. ووجود هذه الحضارات أمر مقطوع به، وحقيقة ثابتة لا سبيل إلى إنكارها، والاختلاف بينها كذلك، لا ينكره إلا مباهت، فالحضارة الدينية عند أهلها أصلها الوحي، والحضارة الوضعية أصلها الشعب الذي اصطلح عليها، وهذا وحده كاف للتمايز والاختلاف. وحتى لو ظهر نوع التقاء في بعض المفاهيم فإنه لا يكون اتفاقاً ولا أمراً مشتركاً. إذ الحضارة عندما تؤخذ يجب أن تؤخذ مع الأصل الذي انبثقت عنه أو الأساس الذي بنيت عليه؛ فإذا كان الأساس مختلفاً بين حضارتين فلا عبرة باتفاق بعض المفاهيم بينهما أو وجود تشابه بين بعض مفاهيمهما عن الحياة. فالمفهوم فرع عن أصله، ولا يؤخذ المفهوم إلا مع أصله. فالحضارة الإسلامية والحضارة الرأسمالية كلاهما تبيح أكل السمك ولبس الصوف والملكية الفردية وتوكيل المرأة ومحاسبة الحاكم والتداوي، إلا أن هذا وأشباهه لا يعتبر من الحضارة الإسلامية إلا إذا أخذ على أنه وحي من الله إلى محمد ﷺ، أي على أنه شرع، بينما هو في الحضارة الرأسمالية يؤخذ على أنه مصلحة، أو على أن عقولهم تستحسنه، فإن أخذه المسلم بناءً على المصلحة أو التحسين العقلي فلا يعتبر أخذاً للإسلام.

والاختلاف بين الحضارات أمر واقع لا سبيل إلى إنكاره، والذي يهمنا هو الاختلاف بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات وعلى وجه الخصوص الحضارة الرأسمالية، وما يترتب على هذا الاختلاف أو ينبني عليه من مسائل كالحوار والصراع وإمكانية وجود حضارة عالمية واحدة، وصور الصراع وأشكاله، وهل يتوقف الصراع أو يكمن أم تكون هناك غلبة لحضارة على أخرى، وما المقصود بحوار الأديان عند المنادي به، وما هو الموقف الصواب منه، وما الفرق بين الأديان والحضارات وغير ذلك.

فالأديان نوعان: دين تنشأ عنه حضارة أي فيه مجموع مفاهيم عن الحياة كدين الإسلام، ودين لا تنشأ عنه حضارة وليس فيه مجموع مفاهيم عن الحياة كالديانة النصرانية، فإنها وإن كان فيها مثل لا تسرق لا تزنِ، إلا أنها ليس فيها مجموع مفاهيم يشمل كل مناحي الحياة، وعليه فالديانة النصرانية تصلح مثالاً على الدين الذي لا تنشأ عنه حضارة. والحضارة الرأسمالية ليست ناشئة عن الديانة النصرانية، وإن كان منشؤها في بلاد جلّ أهلها نصارى، فالحوار أو الصراع أو المشاركة بين الإسلام والنصرانية يختلف عن الحوار أو الصراع بينه وبين الحضارة الرأسمالية.

مفهوم الحوار بين الحضارات

إننا عندما نقول الحوار أو الصراع نعني به المسلمين ودينهم وحضارتهم من جهة، والنصارى ودينهم والرأسماليين وحضارتهم من جهة أخرى، ومن خبث محاولة رؤوس الحضارة الرأسمالية ومفكريها الفصل بين الإسلام وأهله أي بين الإسلام والمسلمين، فيزعمون أن الإسلام عظيم ولكن المسلمين متخلفون وبعضهم إرهابيون، وهم في نظرتهم للإسلام كاذبون، فلو كان الإسلام عظيماً عندهم على الحقيقة لاعتنقوه، ولكنهم يحاولون تضليل السذج من المسلمين محاولين تخفيف النقمة عليهم عندما يضربون شعباً من الشعوب المسلمة، أو عندما يحاولون نشر مفاهيم حضارتهم بين المسلمين. فهم يعلمون أن العقيدة الإسلامية لا زالت موجودة في نفوس المسلمين، وهي قوية عند الغالبية منهم، فإن جاهروا بعدائهم للإسلام، استَعْدَوا المسلمين وأثاروهم، فهم يستعملون هذه الجمل المضللة كسلاح لتخدير المسلمين، وللتلبيس عليهم فيبتلع بعض المسلمين هذا الطُعم فيقبل الحوار بالمعنى الذي يطرحه النصارى والرأسماليون، أو يروج

له عملاؤهم الفكريون. وهم يركزون في التعريف بهذا الحوار على ثلاثة أمور: الأول المساواة بين أديان وحضارات المتحاورين دون استعلاء ولا تفضيل دين على آخر أو حضارة على أخرى؛ والثاني أن يكون حد الحوار مقصوراً على مجرد معرفة ما عند الغير دون التعرض لنقضه أو إبطاله. والثالث تكوين بديل حضاري عن طريق الوصول إلى القواسم المشتركة بين الدينين والحضارتين.

هذا هو مفهوم الحوار عندهم، وفائدته كما يزعمون [التفاعل الخصب بين الخصوصيات الثقافية لتكوين بديل حضاري أرقى، يدعو إلى القبول بالآخر على أرضية المساواة] (الدكتور ميلاد حنا في ندوة ثقافية عقدت في القاهرة يوم الإثنين بتاريخ ٢٠٠١/٤/٢)، [وكلما استلهمت الحضارات ما هو مشترك بينها وإنساني تقدمت وازدهرت وانتشر السلام] (الدكتور جعفر عبد السلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية)، وذهب أحدهم إلى حد القول بأن [الإسلام هو دين تفاعل، وهو دين تطور ليس كما يقال هو دين انغلاق

ودين تقوقع، بالعكس العصر الذهبي للإسلام وللمسلمين كان عندما كانت الحضارة الإسلامية تتفاعل مع الحضارات الأخرى في العالم، وعندما كان الإسلام ينتشر في العالم ويأخذ ويستوعب كل التراثات والحضارات الإنسانية الأخرى ويعطيها من تراثه ومن حضارته، هذا كان العصر الذهبي للدولة الإسلامية] (الدكتور قاسم جعفر في حلقة عن أولى حروب القرن على قناة الجزيرة تحت عنوان: "انفجارات أمريكا دافع للحوار أم لصدام الحضارات" بتاريخ ٢٠٠١/٩/٢٩)، وقال أيضاً: [علينا نحن كعرب ومسلمين أن نتخلى عن هذه العقدة... وعلينا أن نمتلك ما يكفي من الثقة بالنفس وبالحضارة وبتاريخنا وبتراثنا حتى ننطلق إلى العالم من منطلق المساواة ليس من منطلق التابع...] (حلقة قناة الجزيرة المذكورة)، وقال آخر: [إن حضارة الإسلام قامت على القاسم المشترك بين حضارات العالم فقبلت الآخر وتفاعلت معه أخذاً وعطاءً] (عمرو عبد الكريم باحث علوم سياسية – إسلام أون لاين نت). وحاول آخر أن يدلل على حوار الحضارات بآيات من القرآن الكريم فقال: [وكتابنا القرآن المجيد يؤكد على كيفية الحوار مع الآخرين، حوار مع

المشركين ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، حوار مع الكافرين ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝﴾، حوار مع الأديان العصرية والرسمية في العالم ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾، حوار مع آخرين من موضع أو من منطق تكافؤ... أتصور لا يمكن أن نقول صراع أبدي بأنه نحن كمسلمين أنا أشرت بالآية القرآنية ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هذه الآية يعني نحن يمكن لنا التحاور مع المسيحيين نتحاور مع اليهوديين، نتحاور مع الآخرين، لماذا؟ يعني يكون كلمة مشتركة بيننا، نحن لا نقول نتحاور إلى كلمتنا] (عطاء الله مهاجراني مستشار الرئيس الإيراني لحوار الحضارات في حلقة الجزيرة المذكورة). وهناك من يدعو إلى حوار الأديان لإيجاد قواسم مشتركة بينها، والسكوت عن نقاط الاختلاف، لتخدير المسلمين عن الصراع، وهم يدعون إلى مقولة أبناء إبراهيم لتعزيز الحوار بين الأديان الثلاثة على اعتبار أن من جاءوا بها ينتسبون إلى أب واحد هو إبراهيم عليه السلام، ويستدل لهم بعض المسلمين بآيات من القرآن الكريم

على أن الأنبياء كانوا مسلمين كقوله تعالى على لسان نوح ﴿وَأُمِرْتُ لأنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ وعلى لسان إبراهيم وإسماعيل ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ وعن قوم لوط ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ وعلى لسان الحواريين ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾. وربما يأتي من يقول إن اليهود والنصارى مسلمون، ونحن نسمع من يقول إن أتباع الديانات الثلاث مؤمنون، مع أن نصوص القرآن الكريم القطعية الثبوت والدلالة جاءت قاطعة بتكفير اليهود والنصارى كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾، ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾﴾، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾، ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ

يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾، ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾، ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ﴾، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾، ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ﴾.

فهم كفار، وهم غير مسلمين ولا يجوز أن نطلق عليهم أنهم مسلمون، فالإسلام لغة يعني الانقياد واصطلاحاً شرعياً يعني الدين الذي أنزله الله سبحانه على محمد ﷺ، وإن جاز إطلاق

الإسلام بمعناه اللغوي على الأنبياء السابقين عليهم السلام وعلى من آمن بهم وتبعهم قبل بعثة محمد ﷺ وقبل التحريف، فإنه لا يجوز ذلك بعد بعثته ﷺ، فمن لم يؤمن به وبرسالته فهو كافر ولا يحل أن يسمى مسلماً ولا مؤمناً، قال تعالى: ﴿**وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠**﴾، وقال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»، وأخرج ابن حبان من حديث أنس أن قيصر كتب إلى رسول الله ﷺ: إني مسلم، فقال رسول الله ﷺ حين قرأ الكتاب: «**كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ لَيْسَ بِمُسْلِمٍ وَهُوَ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ**».

وعمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية صرح بأنه لا يؤمن أن هناك حضارة أفضل من حضارة، ومن مدلول كلامه أن الحضارة الإسلامية ليست أفضل من الحضارة الرأسمالية أو الهندية أو اليهودية فهو يقول: [فنحن لا نؤمن بأن هناك

حضارة أفضل] في معرض رده على رئيس وزراء إيطاليا برلسكوني. ويحاول أحدهم الاستدلال على قبول الآخر كما هو دون قيد أو شرط ودون محاولة إصدار أحكام ضده، بآيات من سورة الكهف فيقول: [وحوار الأديان هو محاولة الفرد المحمّل بقيم تقاليد وأفكار وعقائد مسبقة استكشاف الآخر (المختلف دينياً) – كما هو – وإدراكه وبلورة رؤية فلسفية غير نمطية إزاءه دون اللجوء إلى إصدار أحكام قيمية متحيزة ضده... ويرفع أنصار حوار الأديان شعار إخلاص القصد، فهو يفترض التجرد من الشروط أو الأهداف إلا الرغبة في إدراك الآخر ورؤيته معرفياً... ولا يتنافى هذا المضمون للحوار مبدئياً مع القصة التي أوردها القرآن الكريم في سورة الكهف (الآيات ٣٢-٤٢) عن محاورة بين رجلين أحدهما آتاه الله جنتين من أعناب يحيط بهما النخل وتتوسطها الزروع، وتتفجر فيها الأنهار، وزاده الله عن صاحبه مالاً وولداً. وتكشف القصة أن الحوار دار بين الرجلين بلا شرط أو قيد، وأورده القرآن بتفاصيله كاملة، رغم أنها تتضمن كفراً من أحدهما بالله لم يقطع الآخر بسببه الحوار، كما لم يتحرج القرآن من ذكر الأقوال الكفرية، لأنها في مجملها

تستطيع بناء وصياغة رؤية معرفية عن الشخصية الكافرة بالله عز وجل... ويختلف حوار الأديان عن مقارنة الأديان ومساجلة الأديان، وإن اختلطت هذه المفاهيم في الأدبيات، فمقارنة الأديان علم يعني دراسة دين مقارنة بآخر على مستوى العقيدة والشريعة والعبادات، وتصوراته عن الإنسان والكون والحياة وغير ذلك من محاولة افتراض الموضوعية وإمكانية إلغاء التحيز. **بينما مساجلة الأديان عملية تهدف إلى إثبات تفوق وتميز دين على آخر، وهو ما لا يهدف إليه بالطبع حوار الأديان الذي هو عملية إدراكية فحسب**] (حسام تمام باحث وصحفي – مصر: إسلام أون لاين نت، تحت عنوان حوارات الأديان ضرورة إنسانية أم مؤامرة عالمية).

هذه النقول ضرورية لمعرفة ما يقصد أصحاب فكرة حوار الأديان من هذا التعبير فهو اصطلاح لهم، وخير ما يدلنا على المراد من هذا الاصطلاح هو ما يقولونه بألسنتهم أو يكتبونه بأقلامهم، إذ لا ينفع هنا المدلول اللغوي. ومن مجموع هذه النقول يمكن أن نبلور مدلول هذا الاصطلاح بما يلي:

أولاً: التساوي والتكافؤ بين الأديان وبين الحضارات، وعدم التفاضل بين دين ودين أو حضارة وحضارة.

ثانياً: قبول الآخر كما هو، واستكشافه دون إصدار أحكام ضده، بل إدراك ومعرفة ما عنده دون قيد أو شرط.

ثالثاً: الغرض من الحوار بين الحضارات هو التفاعل لإيجاد بديل حضاري أرقى عن طريق استلهام ما هو مشترك وإنساني مما يؤدي إلى تقدم الحضارات وازدهارها، ونشر السلام. والغرض من الحوار بين الأديان هو الحيلولة دون دخول الإسلام حلبة الصراع.

وهذه المفاهيم كلها تخالف الإسلام مخالفة تامة، وليس فيها مفهوم واحد له دليل أو شبهة دليل، فهي ليست من الإسلام، بل كلها تمويه وتضليل، وخطورتها على الإسلام مؤكدة.

فكرة المساواة بين الحضارات

إن مفهوم المساواة بين الأديان وبين الحضارات هو مفهوم كفر إذ إنه دعوة إلى المساواة بين الحق والباطل، بين الدين الحق وبين الديانات المحرفة، بين الكفر والإيمان، بين الضلالة والهدى، بين الناسخ والمنسوخ، بين المفاهيم الحضارية التي أصلها الوحي، وبين المفاهيم الحضارية التي من وضع البشر، أي بين العقل والنقل، بين الاحتكام إلى الطاغوت والاحتكام إلى الكتاب والسنة وما أرشدا إليه. بين الثابت الذي ينفع الناس الذي يمكث في الأرض وبين الزبد الذاهب جُفاءً. والأدلة على هذا يصعب حصرها، قال تعالى: ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**﴾ وقال: ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ**﴾ وقال: ﴿**يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝٦٠**﴾ وقال: ﴿**هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ**

عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ وقال: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ وقال: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ وقال: ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾﴾ وقال: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ وقال: ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ وقال: ﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ وقال: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ﴾.

عجباً لمن يدعي الإسلام ثم يسوي بين الإسلام والكفر، وبين الإلحاد والتثليث والتوحيد، وبين منكر لنبوة محمد ﷺ ومؤمن بها، وبين إباحة الربا وتحريمه، وبين حل الخمر وحرمتها، وبين حل الزنا بالتراضي وحرمته، وبين عبادة الله سبحانه وعبادة

المخلوقات، وبين السفاح والنكاح، وبين إباحة المثلية وتحريم السحاق واللواط، وبين الخنزير والتمر. وأعجب منه من يسكت عن التفضيل فلا يفضل التوحيد على الشرك، ولا الحلال على الحرام، ولا الشرع على الطاغوت، ولا المؤمن على الكافر، ولا الوحي على الوضع، ولا الإسلام على سائر الأديان، ولا القرآن على الكتب المحرفة، ولا عبادة الخالق على عبادة الشمس والبقر والكواكب. نعوذ بالله من الفتنة. فالتبعية مرفوضة، والمساواة مرفوضة، والسكوت عن تفضيل الإسلام وحضارته على سائر الأديان والحضارات مرفوض.

فكرة قبول الآخر

أما قبول الآخر لمجرد معرفة ما عنده دون إصدار أحكام ضده ودون نقض ما يقول فليس من طريقة الإسلام في شيء، بل الذي يدل عليه الكتاب عكس ذلك تماماً، فإن القرآن الكريم عندما كان يذكر أفكار الكفر وأقوال الكفار كان دائماً يتبعها بما هو حق ناقضاً إياها. ومن أمثلة ذلك: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ۝٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢﴾، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٢٨ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ۝٣٩ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ۝٤٠﴾، ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ۝٥٥﴾، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا

وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾، ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾، ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾، ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾، وهذه الآية وإن كانت من شرع من قبلنا إلا أنها مصدرة بقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ فنحن مخاطبون بها. ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾، ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ

إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾، ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾، ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾، ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٢٤ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٢٦﴾، ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٢٤ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٥ قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٦﴾، وحتى آيات سورة الكهف التي استدل بها أحدهم لا تخرج عن هذا الأسلوب أي نقض مفهوم أو مفاهيم الكفر، وليس الحوار كما يقول مجرد عملية إدراكية فحسب، بل هي إدراك ونقض لمفاهيم الكفر، وهذا واضح في إنكار الصاحب راداً على كفر أحدهما قائلاً: ﴿أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٣٨ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ٣٩ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ

﴿ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ۝٤٠ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ۝٤١﴾. فكيف يقال إن الصاحب لم يصدر حكماً وهو ينكر عليه قائلاً: أكفرت بالذي خلقك؟ ثم يوجهه إلى ما يجب عليه قوله وهو: ما شاء الله لا قوة إلا بالله؛ ثم يشرح له قوة الخالق القادر على إرسال الحسبان وتغوير الماء. كيف يقال إن هذا مثال على حوار الأديان دون قيد أو شرط، ودون إصدار أحكام وقبول الآخر كما هو؟!!

أما من استدل بقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣﴾ على الحوار مع الكافرين، وبقوله تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ﴾ على الحوار مع المشركين، فاستدلال غير صحيح وفي غير محله. فسورة (الكافرون) قد أصدرت حكماً عليهم وهو أنهم كفار وسيظلون على كفرهم ولن يؤمنوا، فقد علم الله سبحانه أنهم لن يؤمنوا أبداً، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك، وأمره أن يبلغهم إياه، وأن يرفض عرضهم بتبادل المعبودين سنة بعد أخرى، فلم يبق مكان

للحوار مطلقاً بعد أن أخبر الله سبحانه أنهم سيظلون كفاراً حتى الممات. وهذه السورة نزلت في رجال بأعيانهم، وصدق الله فمنهم من مات ومنهم من قتل ولم يؤمن منهم أحد. وأما قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ هذه الآية ليس فيها دليل على ما يزعمونه من الحوار بين متكافئين، فليس فيها دلالة على الحوار، بل فيها أمر بإسماع المشرك كلام الله، فإما أن يؤمن وإما أن يبلغ مأمنه، فالآية في مستجير مشرك يريد أن يسأل عن الإسلام، فيشرح له الإسلام على وجه يرجى منه دخوله فيه، فليس في الآية دليل على الحوار لمعرفة ما عنده على سبيل المساواة والتكافؤ دون إصدار حكم عليه. فالآية تقرر أنه مشرك فهي تصدر حكماً بالشرك، ولا تطلب محاورته لمعرفة ما عنده، بل تطلب إسماعه القرآن. فلا وجه للاستدلال بها.

فكرة البديل الحضاري

وثالثة الأثافي قولهم إن الغرض من الحوار بين الحضارات هو التفاعل لإيجاد بديل حضاري أرقى عن طريق استلهام ما هو مشترك بين الحضارات وهذا يؤدي بدوره إلى التقدم والازدهار ونشر السلام. وما أسوأ استدلال أحدهم على هذا المفهوم بقوله تعالى: ﴿**قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا**﴾ فيقول: [حوار مع آخرين من موضع أو من منطلق تكافؤ] ثم يفسر قوله تعالى ﴿**إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ**﴾ [إلى كلمة **مشتركة** بيننا **نحن لا نقول نتحاور إلى كلمتنا**]. وهذا الفهم للآية افتراء على الله، إذ معنى سواء عدل أي كلمة عدل وهو ما بينته الآية لاحقاً. وليس في الآية لا منطوقاً ولا مفهوماً أننا ندعوهم إلى كلمة مشتركة، وهو قطعاً لا يقصد أن نشترك في الكلمة العدل بدليل قوله: نحن لا نقول نتحاور إلى كلمتنا، فلم يبق إلا أنه يريد الحضارة المشتركة. والدعوة إلى التفاعل واستلهام

ما هو مشترك بين الحضارات هو إلباس للحق بالباطل وقد نهى الله عنه أهل الكتاب، فمن باب أولى المسلمون قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١﴾.

بعد أن بينا مرادهم بالحوار بين الأديان والحوار بين الحضارات، وغرضهم من هذا الحوار، ننتقل إلى مسألة الصراع بأنواعه المختلفة الاقتصادي والفكري والعسكري والسياسي.

الصراع بين الحضارات

تاريخ الصراع بين الإسلام وغيره من الحضارات

إن الصراع بين الأديان وبين الحضارات قديم، والذي يعنينا منه الصراع بين الإسلام وغيره من الأديان والحضارات. والحق أن الإسلام دين صراع منذ أن أمر محمد ﷺ بالصدع حتى قيام الساعة. فعندما أمر ﷺ بأن يصدع بما يؤمر بدأ الصراع الفكري بين مفاهيم الإسلام ومفاهيم الكفر، وظل هذا الصراع الفكري موجوداً إلى يومنا هذا، ولم يتوقف ولا يجوز أن يتوقف رغم أنه أضيف إليه أنواع أخرى من الصراع. والصراع الفكري هو نقد الأفكار بالأسلوب اللاذع وبشدة وقسوة، وقد فعله الرسول ﷺ تنفيذاً لأمر الله فكان يقول: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾، ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَـَٔاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾

نَحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾، ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾، ﴿لَّعَنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾، ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾، ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾. وهذا الصراع الفكري لا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ لأن الحكمة هي البرهان العقلي والحجة الدامغة، والموعظة الحسنة هي التذكير الجميل، والتذكير الجميل يكون بإثارة الأفكار والمشاعر مجتمعة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾. والجدل بالتي هي أحسن هو الإعراض عن أذى من يجادلك، أي أن تعرض عن أذاه إياك، أي أن تتجاهله. وكذلك لا تعارض بين الصراع الفكري وبين قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ والتي هي أحسن الإعراض عن أذاهم إياكم في الجدال. أما الذين يظلمون بالقتال أو الامتناع عن إجراء الحكم عليهم وأداء الجزية

فإن جدالهم يكون بالسيف. ومن الصراع الفكري المروي عنه ﷺ ما أخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق في مصنفيهما وأصحاب السير وغيرهم عن قتادة أن «**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ نَصْرَانِيٍّ: أَسْلِمْ أَبَا الْحَارِثِ، فَقَالَ النَّصْرَانِيُّ: قَدْ أَسْلَمْتُ، فَقَالَ لَهُ: أَسْلِمْ أَبَا الْحَارِثِ، فَقَالَ: قَدْ أَسْلَمْتُ، فَقَالَ لَهُ الثَّالِثَةَ: أَسْلِمْ أَبَا الْحَارِثِ، فَقَالَ: قَدْ أَسْلَمْتُ قَبْلَكَ، فَغَضِبَ، وَقَالَ: كَذَبْتَ، حَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الإِسْلامِ خِلالٌ ثَلاثٌ: شَرِيكُ الْخَمْرِ، وَلَمْ يَقُلْ: شُرْبُكَ، وَأَكْلُكَ الْخِنْزِيرَ، وَدُعَاؤُكَ لِلَّهِ وَلَدًا**». وأخرج الصنعاني في تفسيره عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أن أبي بن خلف جاء بعظم نخر فجعل يذروه في الريح فقال: أيحيي الله هذا يا محمد؟ فقال النبي ﷺ: «**نَعَمْ، يُحْيِي هَذَا وَيُمِيتُكَ وَيُدْخِلُكَ النَّارَ**». وأخرج الحاكم في المستدرك وصححه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ يَوْمًا فَأَتَاهُ عُتْبَةُ بِن رَبِيعَة بِن عَبْدِ شَمْس **فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللَّهِ؟**... فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: لَهُ رَسُول الله ﷺ أَفَرَغْتَ، قَالَ نَعَمْ، فَقَرَأَ رَسُول الله ﷺ: ﴿**بِسْمِ**

﴿ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ حتى بلغ ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ۝١٣﴾ فَقَالَ عُتْبَةُ: حَسْبُكَ حَسْبُكَ مَا عِنْدَكَ غَيْرُ هَذَا؟ قَالَ: لا، فَرَجَعَ عُتْبَةُ إِلَى قُرَيْشٍ، فَقَالُوا: مَا وَرَاءَكَ؟ فَقَالَ: مَا تَرَكْتُ شَيْئًا أَرَى أَنْ تُكَلِّمُونَهُ أَلا قَدْ كَلَّمْتُهُ، قَالُوا: فَهَلْ أَجَابَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي نَصَبَهَا بَنِيَّةً مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ أَنَّهُ أَنْذَرَكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ. قَالُوا: وَيْلَكَ يُكَلِّمُكَ الرَّجُلُ بِالْعَرَبِيَّةِ وَلا تَدْرِي مَا قَالَ؟ قَالَ: لا وَاللهِ مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ ذِكْرِ الصَّاعِقَةِ». هذا بعض ما روي عنه ﷺ من صراع فكري.

كما أن بعض الصحابة كان يفعل ذلك، منه ما رواه ابن إسحق بإسناده عن الزبير قال: «كَانَ أَوَّلَ مَنْ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: اجْتَمَعَ يَوْمًا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ هَذَا الْقُرْآنَ يُجْهَرُ لَهَا بِهِ قَطُّ، فَمَنْ رَجُلٌ يُسْمِعُهُمُوهُ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: أَنَا، قَالُوا: إِنَّا نَخْشَاهُمْ عَلَيْكَ! إِنَّمَا نُرِيدُ رَجُلا لَهُ عَشِيرَةٌ يَمْنَعُونَهُ مِنَ الْقَوْمِ إِنْ أَرَادُوهُ، قَالَ: دَعُونِي، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ

سَيَمْنَعُنِي، قَالَ: فَغَدَا ابْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَتَى الْمَقَامَ فِي الضُّحَى، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ**﴾ رافعاً بها صوته ﴿**الرَّحْمَٰنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢)**﴾، قَالَ: ثُمَّ اسْتَقْبَلَهَا يَقْرَؤُهَا، قَالَ: وَتَأَمَّلُوهُ فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: مَاذَا قَالَ ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ؟، قَالَ: ثُمَّ قَالُوا: إِنَّهُ لَيَتْلُو بَعْضَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، فَقَامُوا إِلَيْهِ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ فِي وَجْهِهِ، وَجَعَلَ يَقْرَأُ حَتَّى بَلَغَ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْلُغَ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَقَدْ أَثَّرُوا فِي وَجْهِهِ، فَقَالُوا لَهُ: هَذَا الَّذِي خَشِينَا عَلَيْكَ، فَقَالَ: مَا كَانَ أَعْدَاءُ اللَّهِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْهُمُ الآنَ، وَلَئِنْ شِئْتُمْ لأُغَادِيَنَّهُمْ بِمِثْلِهَا غَدًا، قَالُوا: حَسْبُكَ فَقَدْ أَسْمَعْتُهُمْ مَا يَكْرَهُونَ». وأخرج ابن كثير في جامع المسانيد والسنن «عن حاطب وقد أرسله رسول الله ﷺ إلى جريج بن مينا وهو مقوقس إسكندرية فقال له: لم لا يدعو نبيكم على الذين أخرجوه من بلده؟ فقال له: كما لم يدع عيسى على الذين أرادوا قتله حتى رفعه الله إليه. فقال له: أحسنت أنت حكيم جاء من عند حكيم». وأخرج الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين: «عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قال: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَنْطَلِقَ إِلَى أَرْضِ النَّجَاشِيِّ فَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا فَبَعَثُوا عَمْرَو بْنَ

الْعَاصِ، وَعُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَجَمَعُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا، فَقَدِمْنَا وَقَدِمُوا عَلَى النَّجَاشِيِّ فَأَتُوهُ بِهَدِيَّةٍ فَقَبِلَهَا وَسَجَدُوا لَهُ، ثُمَّ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: إِنَّ قَوْمًا مِنَّا رَغِبُوا عَنْ دِينِنَا، وَهُمْ فِي أَرْضِكَ، فَقَالَ لَهُمُ النَّجَاشِيُّ: فِي أَرْضِي؟! قَالَ: نَعَمْ. فَبَعَثَ إِلَيْنَا، فَقَالَ لَنَا جَعْفَرٌ: لا يَتَكَلَّمْ مِنْكُمْ أَحَدٌ، أَنَا خَطِيبُكُمُ الْيَوْمَ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ وَهُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسِهِ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَنْ يَمِينِهِ وَعُمَارَةُ عَنْ يَسَارِهِ، وَالْقِسِّيسُونَ وَالرُّهْبَانُ جُلُوسٌ سِمَاطَيْنِ، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو وَعُمَارَةُ: إِنَّهُمْ لا يَسْجُدُونَ لَكَ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ زَبَرَنَا مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْقِسِّيسِينَ وَالرُّهْبَانِ اسْجُدُوا لِلْمَلِكِ. فَقَالَ جَعْفَرٌ: لَا نَسْجُدُ إِلَّا لِلَّهِ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ فِينَا رَسُولَهُ، وَهُوَ الرَّسُولُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِ اسْمُهُ أَحْمَدُ، فَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَنُقِيمَ الصَّلَاةَ وَنُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَأَمَرَنَا بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ. قَالَ: فَأَعْجَبَ النَّاسَ قَوْلُهُ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَمْرٌو قَالَ لَهُ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْمَلِكَ إِنَّهُمْ يُخَالِفُونَكَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ. فَقَالَ النَّجَاشِيُّ لِجَعْفَرٍ: مَا يَقُولُ صَاحِبُكَ فِي ابْنِ مَرْيَمَ؟ قَالَ: يَقُولُ فِيهِ قَوْلَ اللَّهِ: هُوَ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، أَخْرَجَهُ مِنَ الْبَتُولِ الْعَذْرَاءِ لَمْ يَقْرَبْهَا بَشَرٌ،

قَالَ: فَتَنَاوَلَ النَّجَاشِيُّ عُودًا مِنَ الْأَرْضِ فَرَفَعَهُ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْقِسِّيسِينَ وَالرُّهْبَانِ، مَا يَزِيدُ هَؤُلَاءِ عَلَى مَا تَقُولُونَ فِي ابْنِ مَرْيَمَ مَا يَزِيدُ هَذِهِ، مَرْحَبًا بِكُمْ، وَبِمَنْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِهِ، فَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَّهُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَلَوْلَا مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ، لَأَتَيْتُهُ حَتَّى أَحْمِلَ نَعْلَيْهِ، امْكُثُوا فِي أَرْضِي مَا شِئْتُمْ، وَأَمَرَ لَهُمْ بِطَعَامٍ وَكِسْوَةٍ، وَقَالَ: رُدُّوا عَلَى هَذَيْنِ هَدِيَّتَهُمْ». وأخرج أحمد هذا الحديث مطولاً عن أم سلمة رضي الله عنها وهو أكثر تفصيلاً من حديث أبي موسى ﷺ، ونقله الهيثمي في المجمع وقال: رجاله رجال الصحيح غير ابن إسحق وقد صرح بالسماع.

وظل المسلمون بعد وفاته ﷺ يصارعون ديانات الكفر وحضاراته صراعاً فكرياً وعسكرياً - كما سيأتي - حتى عم الإسلام أرجاء العالم القديم إلا قليلاً منه، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وانسلخوا من دياناتهم وحضاراتهم السابقة وصاروا أمة واحدة جديدة، عقيدتها واحدة، وأفكارها واحدة، ووجهة نظرها في الحياة واحدة، ونظامها واحد، ومصلحتها واحدة، ومثلها الأعلى واحد، هو إعلاء كلمة الله، وتسنمت مركز

القيادة في العالم، وصارت حواضرها مراكز إشعاع للفكر المستنير، وعقيدة التوحيد، وشريعة العدل، فحملوا للعالم الكتاب والسنة واللغة العربية فصار الإسلام مبدأ الجميع، وصار الاهتمام باللغة العربية كبيراً، حتى وجد من بينهم مجتهدون وعلماء لغة، لا فرق بين عربي وعجمي، وصاروا بنعمة الله إخواناً. ونحن نرى اليوم الهجمة الشرسة على اللغة العربية لفصلها عن الإسلام بأساليب خبيثة كالدعوة إلى العامية، وكتابة لغات المسلمين الأخرى بالأحرف اللاتينية، واعتبار اللهجات المحلية لغات عربية، ومعلوم أن الذي لا يعرف العربية يستحيل عليه فهم الإسلام، بَلْهَ أن يجتهد فيه. فهم يريدون للعربية أن تصبح كاللاتينية أو السريانية، فلا يفهم الإسلام إلا المتخصصون بهذه اللغة غير المستعملة، فهم في الواقع يريدون لها أن تكون لغة ميتة. فمن أين لمن لا يفهم العربية أن يفهم الخبر والإنشاء والأمر والنهي والحقيقة والمجاز والعلة والسبب والشرط والمانع والعام والخاص والمطلق والمقيد ودلالة المنطوق والمفهوم والالتزام ومعاني الحروف، والصرف والنحو، وغير هذا مما يلزم لفهم النصوص الشرعية؟! إن من يدعو لهذا هو عدو للإسلام، ومن تنطلي

عليه هذه الأباطيل من المسلمين فهو أبله.

إلا أن هذا الدخول في دين الله لم يكن عاماً بشكل كامل تام حتى بين العرب أنفسهم، فظل للأديان والحضارات المغلوبة وجود، كان ضعيفاً في بادئ الأمر، لانعدام البيئة التي تسمح بنموه، ولذلك فشلت حركة الزندقة وقمعت، إلا أن إهمال شأن اللغة العربية فيما بعد أدى إلى إغلاق باب الاجتهاد، واضطراب فهم الأحكام، مما أضعف الدولة، حتى صارت دويلات. ودخلت بعض أفكار الحضارات القديمة على المسلمين كفكرة التقشف وتعذيب الجسد من الفلسفة الهندية، والعصبية عند البعض، والأفكار الباطنية عند آخرين، والنزعة إلى الانفصال عن مركز الخلافة، مما أضعف الدولة وأوقف الفتوحات، بل طمع فيها الصليبيون والتتار، حتى جاء العثمانيون فوحدوا كثيراً من أقاليم الدولة تحت سلطانهم، واستأنفوا الفتح إلا أنه كانت تغلب عليه الصبغة العسكرية دون حمل المبدأ بشكل صحيح، فلم تنصهر شعوب البلاد المفتوحة في بوتقة الإسلام كما حصل في الفتوحات الأولى. ويمكن أن يلمس الفرق بين شعوب كالأوزبيك والطاجيك والبشتون والفرس والترك والبربر والهنود

والديلم والتركمان والأكراد وحبهم للإسلام وتمسكهم به، وبين شعوب فتحت في عهد العثمانيين كالصرب واليونان والمجر والكروات والرومان وغيرها، إذ سرعان ما تآمرت مع الغرب على المسلمين ودولتهم، وكلما أتيحت لهم فرصة للانتقام لم يقصروا. ثم كان الغزو الثقافي والغزو التبشيري على الإسلام حتى تم للحضارة الغربية القضاء على دولة الإسلام وتمزيقها، وتفريق جماعة المسلمين. ولم يقف الغرب الرأسمالي عند هذا الحد، بل ظل يعمل على نشر مفاهيمه بين المسلمين، من قومية ووطنية، وديمقراطية وحرية، وقوانين وضعية، وحدود وهمية، ونصب على هذه الدويلات أولياء أمور فاسدين، موالين له يركزون نفوذه ومفاهيمه، ويحفظون مصالحه، ويكرسون الفرقة، ويصدون عن سبيل الله، ويقاومون كل مخلص يحاول الانعتاق من ربقتهم. وساعدهم على ذلك العملاء الفكريون الذين يدعون لأفكار الرأسمالية بحرارة ويدافعون عنها، ويصارعون حضارة الإسلام، واقفين بإخلاص أعمى إلى جانب عدو الأمة، ومكنهم الكفار الصليبيون وعملاؤهم من أصحاب القرار في بلاد المسلمين، مكنوهم من وسائل الإعلام والتعليم، فضلوا وأضلوا. وهذه

الهجمة الفكرية لم تتوقف، فالدعوة إلى مفاهيم الحضارة الرأسمالية مما يسمونه الحريات والديمقراطية والتعددية والمجتمع المدني ودولة المؤسسات وحقوق الإنسان وحقوق المرأة ورابطة المواطنة وحوار الأديان وغيرها قائمة على قدم وساق، مما يعتبر وبحق صراعاً فكرياً عنيفاً بين الحضارتين الإسلامية والرأسمالية. هذا الصراع من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى دليل فنحن نعيشه يومياً، مهما حاول بعض المفكرين وأصحابُ القرار الرأسماليون إخفاءه تمويهاً وتضليلاً، فمثلاً نجد الرئيس الأمريكي السابق نيكسون يقول في "الفرصة السانحة": [إن انعزالنا يخالف مثلنا ومعتقداتنا الدينية التي تدعو لنشر الفضيلة في العالم أجمع] ويقول أيضاً في كتابه "نصر بلا حرب": [والأيديولوجية الثورية الإسلامية هي رد فعل ضد التحديث، والشيوعية تعد بتدوير ساعة التاريخ للأمام والأصولية الإسلامية تعيدها للوراء... إن الثوريين الشيوعيين والإسلاميين **أعداء** أيديولوجيون يتبنون هدفاً مشتركاً: الرغبة في الحصول على السلطة بأي وسيلة ضرورية بغية فرض سيطرة ديكتاتورية تقوم على **مثلهم التي لا تحتمل**]. ونجد برلسكوني رئيس الوزراء الإيطالي الحالي يقول: [يجب أن نعي بأفضلية

حضارتنا، فالشرق سيستمر في التوجه نحو حضارة الغرب وسيزداد هذا التوجه، لقد حدث ذلك مرة في العالم الشيوعي وحدث أيضاً في أجزاء من العالم الإسلامي]. ورحب تيري لارسون منسق عملية أوسلو النرويجي باتجاه المسلمين في فلسطين نحو التطبيع مع الغرب. ذكر عضو الوفد اليهودي المفاوض في أوسلو أوري سبير في كتابه "المسيرة": [وبدأت أيضاً تختفي الأغطية عن رؤوس النساء وقصرت الفساتين من الجزء الأسفل، وهو الأمر الذي استقبله لارسون بالترحاب معتبراً إياه اتجاهاً نحو التطبيع مع الغرب] وفعلاً كانت النساء لا يجرؤن على هذا أثناء الانتفاضة الأولى قبل أوسلو. ونجد فيليس أوكلي مساعدة وزير الخارجية الأمريكي سابقاً تقول: [أنا أتفق مع أولئك الذين يقولون بأن صدام الحضارات لا يمكن تجنبه]. وتقول مادلين أولبرايت وزيرة خارجية أمريكا السابقة: [هوجمنا بسبب هويتنا فنحن نتمسك بالعولمة وندافع عن الديمقراطية والحرية والمجتمع المنفتح وهذا هو جوهر أمريكا الذي لا يمكن أن نتراجع عنه] (جريدة القدس نقلاً عن مقال مترجم لناتان جاردلز – واشنطن). ويقول بول كنيدي أستاذ التاريخ في

جامعة ييل الأمريكية: [ومن الصعب تجنب الاستنتاج بأن خطر الهجمات الإرهابية لن يزول. كما أننا لن نحقق نجاحاً كبيراً في منع حدوث هذه الهجمات، فالجني خرج من عنق الزجاجة وهو يحمل روح الانتقام وأصبح تفجير السيارة الآن تفجير طائرة] (جريدة القدس في مقال مترجم بتاريخ ٢٠٠١/٩/٢٢). وقال الرئيس اليهودي الأسبق هرتسوغ أمام البرلمان البولندي عام ١٩٩٢: [إن وباء الأصولية الإسلامية ينتشر بسرعة ولا يمثل خطراً على الشعب اليهودي فحسب بل وعلى البشرية جمعاء] (مجلة العربي عدد ٥١٤). وقال شمعون بيرس: [لقد أصبحت الأصولية الخطر الأعظم في عصر ما بعد انهيار الشيوعية] (مجلة العربي عدد ٥١٤). وقال سايروس فانس وزير الخارجية الأمريكي السابق: [يجب أن نكون حذرين وحازمين في التعامل مع هؤلاء المتعصبين الذين لا يمكن التنبؤ بأفعالهم] (مجلة العربي عدد ٥١٤). والموسوعة الثقافية الفرنسية تنص على أن محمداً ﷺ [دجال خاطف نساء وأكبر عدو للعقل البشري].

هؤلاء وأضرابهم يصرحون بعدائهم للإسلام، وتصريحاتُهم واضحة الدلالة أنهم يمارسون بحضارتهم الرأسمالية صراعاً فكرياً

عنيفاً ضد الحضارة الإسلامية. إلا أن هناك فريقاً آخر يحاول ذر الرماد في العيون، وتضليل المسلمين، لدوام تخديرهم، وقعودهم عن التغيير، وهم لا يقلون عداءً للإسلام وأهله، فنجد الرئيس الأمريكي السابق كلنتون يقول: [إن عدونا في الشرق الأوسط هو التطرف، ورفض فكرة صراع الحضارات، كما قال إن الصراع الجاري لا صلة له بالإسلام، لكنه صراع مع القوى المتطرفة التي تتستر بالدين والقومية وأضاف إن ذلك يتعارض مع تعاليم الإسلام وأكد أن الإسلام قوة كبيرة للتسامح والاعتدال في العالم] (مجلة العربي عدد ٥١٤). ولويس ميتشل وزير خارجية بلجيكا يقول تعليقاً على تصريحات برلسكوني السابقة: [إذا تحدث رئيس وزراء دولة عضو في الاتحاد الأوروبي بهذا المنطق فإن ذلك مرفوض تماماً، فاعتبار أن حضارة ما أفضل أو أن لها مكانة أرقى من الحضارات الأخرى، يعد تعارضاً مع القيم الأوروبية التي نؤمن بها جميعاً] (حلقة قناة الجزيرة المذكورة). وحتى الرئيس بوش الابن الذي صرح بالحملة الصليبية ونادى بها، لم يمنعه ذلك من زيارة المركز الإسلامي في واشنطن ووصف الإسلام بأنه دين سلام، ومثله شريكه في هذه الحملة رئيس

الوزراء البريطاني بلير وصف الإسلام بأنه دين سلام واحتج بمعنى الآية الكريمة ﴿**مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا**﴾. فينبغي ألا يغتر المسلمون بالعبارات الخادعة التي يطلقها أمثال هؤلاء، فإن أفعالهم هي التي تنبئ عن مكنون صدورهم، لا أقوالهم الكاذبة التي لا تنطلي على مسلم.

هؤلاء يعرفون الإسلام على حقيقته، بل ربما أكثر من بعض المسلمين، فنيكسون الرئيس الأمريكي الأسبق الذي سبق أن نقلنا أقواله: [مُثُلُهم التي لا تحتمل، والأصولية تعيدها إلى الوراء، والإسلاميون أعداء أيديولوجيون] نجده يقول في كتابه "الفرصة السانحة": [والإسلام ليس مجرد دين، بل هو أساس لحضارة كبرى] فهو يميز بين الإسلام والنصرانية، ويقول في الكتاب نفسه عند كلامه عن الأصوليين: [وهم مصممون على استرجاع الحضارة الإسلامية السابقة عن طريق بعث الماضي، ويهدفون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وينادون بأن الإسلام **دين ودولة**] ويقول: [إلا أن حضارتنا ليست أعرق من حضارتهم، لقد قاوم العالم الإسلامي الشيوعية بأقوى مما قاومها

العالم الغربي ورفضهم للماديات والتجاوزات الأخلاقية الشائعة في العالم الغربي يحسب لهم لا عليهم]. وكما ترى فإنه صادق في أقواله هذه، إلا أنها لم تمنعه من الإعلان بأننا أعداء أيديولوجيون، ولم تمنعه من التآمر على المسلمين، ولا من مظاهرة اليهود عليهم، فهو يقول في كتابه "نصر بلا حرب": [إن التزامنا ببقاء (إسرائيل) التزام عميق، فنحن لسنا حلفاء رسميين، وإنما يربطنا معاً شيء أقوى من أي قصاصة ورق، إنه التزام معنوي، إنه التزام لم يخلّ به أي رئيس في الماضي أبداً، وسيفي به كل رئيس في المستقبل بإخلاص، إن أمريكا لن تسمح أبداً لأعداء (إسرائيل) الذين أقسموا على النيل منها بتحقيق هدفهم في تدميرها]. ويقول في كتابه "الفرصة السانحة": [فلكي نحمي الحكومات الديمقراطية المهددة كما في (إسرائيل) وكوريا الجنوبية فنحن على استعداد لاستعمال القوة العسكرية إذا لزم الأمر]، ويقول: [فلن يستطيع أي رئيس أمريكي أو كونجرس أن يسمح بتدمير (إسرائيل)]. فهؤلاء فهموا حقيقة الإسلام وحضارته، إلا أنهم مصرون على كفرهم وعدائهم وكيدهم، وهذا الأمر ليس غريباً. فقد يفهم المسلم الحضارة الرأسمالية أكثر من بعض

أبنائها، ويظل مسلماً مخلصاً لدينه وحضارته، كما يمكن أن يحدث العكس، فينبغي أن لا يغتر المسلمون بمثل هذه الأقوال.

إن وجود دولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، هو الركن الركين في الصراع بين الإسلام والكفر، ومن السذاجة وقلة الفقه أن يقتصر في الصراع بأنواعه المختلفة على مجرد الدعوة في وسائل الإعلام، وتأليف الكتب، والاتصال الفردي، في الوقت الذي لا يطبق فيه الإسلام، وحال المسلمين يرثى لها، ضعفاً وهواناً وتخلفاً وتفرقاً. فإذا وجدت الدولة تجسد فيها العدل والعزة والسعادة والإنسانية وكل أنواع الخير، ويلمس ذلك القاصي والداني والمسلم والكافر، وسد وجودها مسد ملايين الكتب وملايين الاتصالات وآلاف وسائل الإعلام، فإذا أضيف وجودها إلى ما ذكر رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً.

أوجه صراع الحضارات

الصراع الفكري

إن الصراع الفكري بين الإسلام وسائر حضارات الكفر، أمر واقع، وهو فرض على المسلمين وإن لم يبدأهم الكفار بالصراع، بدأه رسول الله ﷺ في مكة قبل الدولة وبعد الدور السري، واستمر الحال كذلك إلى يومنا هذا، وسيبقى إلى ما شاء الله. وهو على ظاهر الكف، وإن عُمي على بعض الناس، ومن اطلع على كتب الملل والنحل فإنه سيجد فيها صراعاً فكرياً مع كل الأفكار التي عرفها المسلمون.

ويتمثل هذا الصراع بين حضارة الغرب والحضارة الإسلامية في أساليب كثيرة منها:

١- السيطرة على وسائل الإعلام وتوجيهها بما يخدم الحضارة الرأسمالية.

٢- السيطرة على مناهج التعليم بكافة مستوياته، لنشر

مفاهيم الغرب وتشويه ومحاربة بعض مفاهيم الحضارة الإسلامية، وتزوير تاريخ المسلمين.

٣- إنشاء مدارس وجامعات يشرف عليها الغربيون بشكل مباشر.

٤- إنشاء أحزاب تتبنى حضارة الغرب وتدعو لها، يرعاها الغرب وأصدقاؤه التقدميون المعتدلون.

٥- رعاية من يسمونهم بالنخبة أو المثقفين أو المفكرين وتسليط الأضواء عليهم وإشهارهم ليكونوا قادة الفكر في بلدان العالم الإسلامي.

٦- الإنفاق على البعثات الدراسية والدورات بمختلف أنواعها لاختيار من يصلح أن يكون عميلاً فكرياً لهم، أو عميلاً سياسياً أو أمنياً أي جاسوساً.

٧- إنشاء المؤسسات والمنتديات والمراكز المتخصصة في بث سمومهم والإنفاق عليها بسخاء.

٨- محاربة اللغة العربية وإحياء اللغات غير العربية وإذكاء النعرات القومية والوطنية.

وحتى ما يسمى بصراع المصالح فإنه في أصله مبني على الاختلاف الفكري، الذي يتبعه صراع فكري، ثم صراع على المصالح قد يصل إلى الصراع العسكري، والضعيف الذي لا يقوى على الصراع العسكري لا يقدم على صراع المصالح إلا بقدر ما يقدم الضبع أو الثعلب على فريسة الأسد. وهذا الصراع على المصالح يمكن أن يكون بين حضارتين مختلفتين، كما يمكن أن يكون بين دولتين أو شعبين من حضارة واحدة. فأمريكا عندما غزت الخليج واحتلته وبسطت نفوذها عليه، واستقرت وباضت وفرخت، لم يكن هدفها تحرير الكويتيين قطعاً، بل كان صراعاً على مصلحة البترول وبسط النفوذ، كما قال قائلهم [جئنا لنصحح خطأ الرب] أي في خلقه سبحانه وتعالى البترول في الخليج دون الغرب، وقال شولتز في برنامج تلفزيوني بتاريخ ١٩٩٠/١٢/١٦: [إنه يجب تحطيم قوة العراق العسكرية حتى ولو انسحبت من الكويت]، وقال ديك تشيني

أمام الكونجرس في ١٩٩٠/١٢/٣: [إنه يجب أن يضمن أن لا يتكرر مثل هذا الغزو بغض النظر عن كيفية حسم ذلك، وذلك حتى لو انسحب صدام من الكويت]، ومن المعلوم أن كلاً من العراق والكويت وسائر الخليج كانت حتى ذلك الحين منطقة نفوذ بريطانية، فكانت أمريكا تصارع بريطانيا سياسياً واقتصادياً، مع أن كليهما تنتميان لحضارة واحدة هي الرأسمالية، وفي الوقت نفسه كانت تصارع المسلمين سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، وهي تتبنى الرأسمالية وتصارع مسلمين تخلوا عن حضارتهم الإسلامية، أو عن أكثر مفاهيمها. فصراع أمريكا للمسلمين بأشكاله السابقة مبني على مفهوم حضاري عندهم هو الاستعمار للأمم الضعيفة وإباحة التحكم في مقدراتها، وها هي تعيد الكرة في آسيا الوسطى، وكذلك صراعها مع بريطانيا مبني على مفهوم حضاري، لكنه مختلف عن المفهوم الذي بني عليه صراعها مع العرب، فهي تصارع بريطانيا في الخليج لأنها يجب أن تتفرد في قيادة العالم الجديد، وفي نهب ثروات المستضعفين، فأمريكا كما يقول بوش الأب يجب أن تكون في الطليعة، فلا مجال لقطبين

في مركز قيادة العالم، إنما هو قطب واحد ويجب أن تكون أمريكا وريثة الاستعمار القديم بلا مزاحم. ومن أمثلة الصراع بين حضارتين الصراع الذي كان بين أمريكا الرأسمالية والاتحاد السوفييتي الاشتراكي، لكنه لم يصل إلى حد الصراع العسكري، واقتصر على الصراع السياسي والفكري والاقتصادي، وانتهى بمصرع الاتحاد السوفييتي. ومن أمثلة الصراع بين أبناء حضارة واحدة، الصراع بين النازيين وغيرهم من الرأسماليين، وهو صراع بين من يرى أفضلية العرق الجرماني على غيره من الأعراق وبين من ينكر هذه الميزة من الأعراق التي تتبنى الرأسمالية من شعوب أوروبا وأمريكا، إلا أنه يبقى صراعاً في إطار حضارة واحدة. وهو مبني على مفهوم معين هو جزء من حضارة النازيين، مضاد لمفهوم الحلفاء.

فالصراع الفكري هو أساس كل صراع على وجه الأرض منذ اختلاف ابني آدم عليه السلام إلى يومنا هذا، وسيستمر إلى ما شاء الله. ولهذا بدأنا بالصراع الفكري.

الصراع الاقتصادي

لقد وجد الصراع الاقتصادي قديماً إلا أنه اليوم صار مرعباً ماحقاً شاملاً منظماً، بحيث صار أتباع الحضارة القوية يأكلون عباد الله من أتباع الحضارات الأخرى، بلا رحمة ولا شفقة ولا إنسانية، وتحول العالم إلى غابة كبيرة، يأكل فيها القوي الضعيف. صحيح إن العالم قرية صغيرة من حيث الاتصالات والمواصلات إلا أنه غابة من حيث تسلط القوي على الضعيف. وهذا واضح مما تقوم به الرأسمالية، وبخاصة زعيمتها أمريكا، من أساليب منها:

أولاً: السيطرة على المواد الخام حيثما وجدت إلى ذلك سبيلاً.

ثانياً: جعل الدولار بديلاً عن الذهب كعملة عالمية، وأوروبا تحاول مصارعة هيمنته بعملتها التي تسمى اليورو، وبعض الدول تحاول الرجوع إلى نظام الذهب والفضة ولكن أمريكا تحارب كل محاولة للعودة إلى نظام الذهب.

ثالثاً: استمرار جعل الدول النامية مجرد أسواق استهلاكية بمنعها من التصنيع الثقيل، وحتى من كثير من التصنيع الخفيف.

رابعاً: إغراق الدول النامية بالقروض الربوية المضاعفة عن طريق صندوق النقد الدولي والبنك الدولي. وخطر هذه القروض ماثل للعيان.

خامساً: استيعاب الخبرات والعقول المهاجرة التي لا تجد مكاناً لها في بلدانها الأصلية فتضطر للهجرة إلى الغرب.

سادساً: وضع سياسات يفرضها غالباً صندوق النقد الدولي، تؤدي إلى انعدام الأمن الغذائي في هذه البلدان، بحيث تصبح تحت رحمة المعونات والهبات والقروض بعد أن كانت في الغالب مكتفية ذاتياً.

سابعاً: إشعال الحروب الإقليمية لدفع الدول إلى شراء الأسلحة التي تتحول بعد فترة وجيزة مجرد خردة صدئة تالفة قد سبقها الزمن إذا لم يستعملوها في حروبهم الإقليمية.

ثامناً: العمل على انعدام الأمن في البلدان المتخلفة بحيث

تهاجر رؤوس الأموال إلى بلدان أكثر أمناً كأوروبا وأمريكا، فتجمدها متى شاءت تحت ذرائع مختلفة، فإذا علمنا أن البلدان العربية فقط لها رؤوس أموال في الغرب تبلغ ثمانمئة مليار دولار على أقل تقدير، يمكننا أن نتصور ولو بشكل تقريبي ما هو منهوب من البلاد الإسلامية، وكلها دول نامية متخلفة، ناهيك عن غيرها من الدول النامية.

تاسعاً: السيطرة على المصالح الاقتصادية في البلدان المتخلفة عن طريق ما يسمى بالعولمة والخصخصة والاستثمارات لرؤوس الأموال التي تملكها الشركات الرأسمالية العملاقة.

عاشراً: تعيين حكام عملاء لهم مع جيوش ومخابرات وظيفتها حماية مصالحهم.

حادي عشر: إنزال قوات في بعض مناطق العالم الحساسة، والاستقرار فيها، لدوام بسط النفوذ، كما فعلت أمريكا في الخليج وسيناء وآسيا الوسطى وتركيا وغيرها. هذا بالإضافة إلى الأساطيل التي تجوب البحار، لضمان نهب الثروات.

ثاني عشر: العمل على تفتيت العالم إلى دويلات أكثر باسم الاستقلال لدوام ضعفها وتسهيل السيطرة عليها.

ثالث عشر: نشر ثقافتهم ومفاهيم حضارتهم لداوم الهيمنة على الشعوب المغلوبة، وإبعادها عن التفكير بالتغيير والانعتاق من براثنهم.

رابع عشر: فرض الحصار على بعض الدول كالحصار الذي فرضته أمريكا على العراق، فقد استصدرت قراراً من مجلس الأمن تحت رقم ٦٦٥ بحصار العراق ومنح الحق للبحرية الأمريكية باستخدام القوة لمنع التجارة مع العراق. وعلق بوب ودورد في كتابه (القادة) على هذا القرار قائلاً: [كانت هذه هي المرة الأولى في تاريخ الأمم المتحدة الذي امتد ٤٥ عاماً التي تمنح فيها دولاً خارج مظلتها الحق في فرض حصار اقتصادي وكان هذا نصراً دبلوماسياً رائعاً للإدارة الأمريكية].

الصراع السياسي

أما الصراع السياسي بين حضارة الغرب الرأسمالي والمسلمين فقد تجلى فيما يلي:

أولاً: هدمهم لدولة الخلافة عام ١٩٢٤م.

ثانياً: إقامتهم لدولة يهود في فلسطين والمحافظة عليها وعلى تفوقها النوعي عسكرياً.

ثالثاً: تفريقهم لجماعة المسلمين، وتشجيعهم على هذه الفرقة تحت مسمى الاستقلال حتى صاروا حوالي ستين كياناً، وما زالوا يعملون على التمزيق والتفريق، ولا يخفى خطر الفرقة الماحق على ذي لب. والمسلمون منقادون لفكرة الاستقلال هذه، ويناضلون من أجلها، مع أنها تصادم حضارتهم ومفاهيمهم مصادمة تامة، فالله يأمرهم أن يكونوا جميعاً غير متفرقين، وهم ماضون في التفريق وتكريس الفرقة، مع أنهم يتلون ليل نهار قوله تعالى: ﴿**وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ**﴾ و"جميعا" حال من المعتصمين بحبل الله ومعناها الجماعة بل هي

عين الجماعة لقوله ﷺ: «**مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ**» فالجميع والجماعة على رجل بمعنى واحد.

رابعاً: تطبيق نظامهم السياسي على الأقطار الإسلامية **شكلياً** من جمهوري وملكي مع تقسيم السلطات شكلياً إلى ثلاث كما هو الحال عندهم.

خامساً: مقاومتهم لحركات التغيير الجادة، والتي تعمل لإقامة دولة الإسلام، دولة الخلافة الراشدة، وهم يسمونهم أحياناً متطرفين وأحياناً أصوليين. ومقاومتهم هذه غالباً ما تكون عن طريق عملائهم ونادراً ما تكون مباشرة، [وقف مارتن إنديك المسؤول عن شؤون الشرق الأوسط في البيت الأبيض وقف يدعو إلى أن التحدي الذي يواجه أمريكا في الشرق هو مساعدة الدول الصديقة على احتواء التطرف] (مجلة العربي العدد ٥١٤). وهم إن لم يستطيعوا احتواءه فإنهم يقمعونه بقسوة وحقد عن طريق (أصدقائهم المعتدلين التقدميين) وهؤلاء قال

عنهم نيكسون في الفرصة السانحة: [إن كثيراً من ساسة الدول الإسلامية لا تزيد علاقتهم بالإسلام عن علاقتهم بمثله وتقاليده وعاداته... التقدميون: هذه المجموعة نشاطها محسوس... وهي تسعى إلى ربط المسلمين بالعالم المتحضر من الناحية السياسية والاقتصادية، وتتميز هذه المجموعة بالمرونة، ولا ينعتون الغرب بأنه ملحد، ولكن يطلقون عليه اسم أهل الكتاب، وبعض الدول التي يسودها التقدميون هي دول ديمقراطية كتركيا وباكستان... يجب علينا أن نعاون التقدميين في العالم العربي... إن مفتاح السياسة الأمريكية يكمن في التعاون الاستراتيجي مع المسلمين التقدميين فقط... ولما كنا نشارك التقدميين في أهدافنا فيجب أن يغطي تعاوننا جميع المجالات الاقتصادية والأمنية... فيجب أن لا تصل العلاقة بين أمريكا والدول الشريكة إلى حد الوصاية، ويجب أن لا تتعامل مع الزعماء في الدول التقدمية كأنهم مراسلون بيننا وبين شعوبهم، بل علينا أن نعاملهم كشركاء متساوين، لأن أسرع طريقة ندفنهم بها هي معاملتهم كأبواق للدعاية للغرب... علينا أن نتقبل في بعض الأحيان رفض

أصدقائنا في العالم الإسلامي لبعض تصرفاتنا التي تسبب لهم حرجاً سياسياً في بلادهم...]. والأمة تعرف هؤلاء الأصدقاء المعتدلين التقدميين تمام المعرفة، ولا بأس بتذكيرها بما فعله حكام العراق ومصر وتركيا وأوزبيكستان والجزائر وسوريا وليبيا وتونس بالمخلصين من أبناء هذه الأمة.

سادساً: إنشاء الأمم المتحدة ومجلس الأمن لإضفاء الشرعية على التدخل في شؤون الدول المستضعفة ومنها الدول القائمة في العالم الإسلامي. وإذا لم تستطع أمريكا التدخل عن طريق مجلس الأمن لمشاكسة بعض الدول الكبرى لها فإنها تتخطى مجلس الأمن وهيئة الأمم، وتتصرف بشكل منفرد، كحالها الآن فيما سمته بالحملة الصليبية على الإرهاب، فتنزل أينما شاءت، وتضرب من شاءت. وقد صرح نيكسون في كتابه "الفرصة السانحة" بهذه السياسة فقال: [وعندما تتعرض مصالح الولايات المتحدة للضرر فإنها سوف تتصرف بالتنسيق مع الأمم المتحدة كلما أمكن ذلك، أما إذا تعذر الأمر فسوف تتصرف بمفردها دون معاونة منها]. يقول كلاود باور أستاذ

العلوم السياسية في جامعة ماساشوستس في مقال له في مجلة MEI: [من الواضح أن القانون الدولي لا ينطبق على النصف الغربي للكرة الأرضية... يبدو أن خرق حقوق الإنسان أمر مقبول ما دام يخدم المصالح الأمريكية].

سابعاً: تجميع أعداد من المنتفعين والظلاميين يسمونهم أحزاباً، يسلمون الحكم لواحد منهم ويصنفون البقية كمعارضة، هذا إذا لم يفرضوا ما يسمونه بنظام الحزب الواحد.

هذه بعض صور الصراع السياسي الذي يشنه أتباع الحضارة الرأسمالية على المسلمين، وعلى غيرهم، وقد نجحوا في كل هذه الصور، وما ذلك إلا لغياب الراعي الصالح، والنظام الصالح، المتمثل بدولة الخلافة.

الصراع العسكري

ثم ننتقل إلى آخر أنواع الصراع بين الحضارات وهو الصراع العسكري، ويسمى عند المسلمين الجهاد، وهو باب واسع، والذي يهمنا هنا إثبات حتمية الصراع العسكري وخاصة في الحضارة الإسلامية، ومحاولة البعض نفي وجوب قتال الطلب، ثم الرد على من يقول إن الإسلام دين تسامح وسلام، ثم هل الإسلام دين إرهاب.

ولنبدأ بأفعال أتباع الحضارات الكافرة بالمسلمين، فهي أبلغ في الدلالة من الأقوال، وذلك لأنها ملموسة محسوسة، فأستراليا التي لم نحاربها في يوم من الأيام احتلت تيمور الشرقية، والصين تحتل ولاية كاملة من جنوبي آسيا الوسطى، وروسيا تحتل عدداً من الولايات الإسلامية كالقفقاس والقرم وقازان وغيرها، والهند تحتل دلهي وكشمير وكل شمالي الهند، والأمريكان يسيطرون على الخليج كله ويبسطون نفوذهم السياسي والعسكري على أواسط آسيا من أوزبيكستان إلى الخليج، وينزلون على سيناء، ولهم قاعدة كبيرة في (إنجرليك) في تركيا، ويصارعون كلاً من فرنسا وبريطانيا على نفوذهما في إفريقيا، والإنجليز لهم بقايا نفوذ في كل

من آسيا وإفريقيا ووجود عسكري في الخليج وجبل طارق، وفرنسا لها نفوذ في عدد من الدول الإفريقية التي سكانها مسلمون، والصرب والكروات واليونان والرومان والبلغار يحتلون أراضي إسلامية، والإسبان يحتلون الأندلس وسبتة ومليله، والإيطاليون يحتلون صقلية بلد الأغالبة، وجزر البحر المتوسط كلها محتلة وهي أراض إسلامية، والفلبين تحتل أرضاً إسلامية، وبورما كذلك، ودولة يهود تحتل فلسطين التي هي جزء من ثغر بلاد الشام، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «**يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**» رواه أبو داود عن ثوبان.

ومع أن هذا الواقع الأليم يكفي لإثبات صراع أتباع الحضارات الكافرة للمسلمين إلا أنه لا يمنع من تعزيز هذه الفكرة بأقوال بعض السياسيين والمفكرين منهم أي من أتباع حضارات الكفر:

– يقول نيكسون في كتابه "نصر بلا حرب": [إن الكبرياء الحقيقي لا يأتي من تفادي النزاع، بل من أن نكون في معمعته، نحارب من أجل مبادئنا ومصالحنا وأصدقائنا... فينبغي لنا أن ننبذ أوهامنا عن كيف يسير العالم، ويميل الأمريكيون إلى الاعتقاد بأن الصراع شيء غير طبيعي، وأن الشعوب في كل الأمم متماثلة في الأساس، وإن الخلافات ترجع إلى سوء الفهم، وأن السلام الدائم والكامل هو هدف يمكن بلوغه، لكن التاريخ يدحض هذه المقولات، ذلك أن كل أمة تختلف عن الأخرى في جوانب أساسية، التقاليد السياسية والتجربة التاريخية والأيديولوجية المحركة، وهي الجوانب التي تتولد منها المنازعات عادة، إن المصالح المتعارضة وحقيقة أننا نفهم بعضنا البعض تؤدي إلى المنازعات وإلى الحروب في نهاية المطاف... لكن السلام الكامل أي وجود عالم بغير منازعات هو مجرد وهم، مثل هذا السلام لم يوجد ولن يوجد في يوم من الأيام]، ويقول نيكسون أيضاً في "الفرصة السانحة": [وتكون المصلحة حيوية إذا كان فقدانها يهدد أمن الولايات المتحدة، فاستمرار استقلال أوروبا الغربية واليابان وكندا والمكسيك ودول الخليج مسألة حيوية لأمن بلادنا، وكذلك لدينا مصلحة حيوية في أن لا

تحصل الدول المتخلفة على السلاح الذري، وليس للولايات المتحدة الخيار إلا القوة المسلحة لتمنع تهديد مصالحها... فلكي تحمى الحكومات الديمقراطية المهددة كما في (إسرائيل) وكوريا الجنوبية فنحن على استعداد لاستعمال القوة العسكرية إذا لزم الأمر].

– في ١٩٨٠/١/٢٣ ألقى كارتر أمام الكونغرس الأمريكي رسالة عن حالة الاتحاد وكان مما قاله: [ليكن موقفنا واضحاً تماماً، إن أية محاولة من قبل أية قوة خارجية للسيطرة على منطقة الخليج ستعتبر هجوماً على المصالح الحيوية للولايات المتحدة، ومثل هذا العدوان سيصد باستخدام أية وسيلة ضرورية بما فيها العسكرية].

– في ١٩٩٠/١١/٢ نشر هنري كيسنجر مقالاً في يديعوت أحرنوت تحت عنوان "قريباً يا أمريكا ستفقدين قوة الردع" ومما قال فيه: [إن الخيار العسكري بدون شك مؤلم وقاس وهو يمكن أن يثير مظاهرات في الدول الإسلامية، ويطلق شرارة موجة جديدة من الإرهاب، ويمكن أن يؤدي إلى توسيع الصراع، ولكن هذه المخاطر يجب أن تقارن مقابل مخاطر صراع أقسى

في وقت متأخر إذا ما أدت مظاهر العجز الأمريكي إلى انهيار الحكومات المعتدلة في المنطقة وتصعيد التوتر وانتهاء كل النظم].

– في ٢٠٠١/٩/١٨ نشر على صفحة "الأميركتان" على الإنترنت مقابلة أجرتها صحيفة لوفيغارو الفرنسية مع جيمس شليسنغر مستشار نيكسون ووزير الدفاع الأمريكي السابق، ويعمل حالياً مستشاراً في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، وكان مما قاله: [إن استئصال هذه الشبكات يستلزم سنوات طويلة لأنها تتمتع بتصميم قوي مستمد من إيمانهم الشديد بمواقفهم].

– برنامج أولى حروب القرن على قناة الجزيرة نقل مقدم البرنامج عن الواشنطن بوست أن هنري كيسنجر قال تحت مقال "الثأر ليس رداً كافياً": [من الضروري ما حصل مواجهته بهجوم على النظام الذي أنتج هذا التهديد].

– السكرتير السابق لحلف الناتو (كلاوس) أعلن رسمياً أن الحلف أقام الإسلام هدفاً لعداوته مقام الاتحاد السوفييتي سابقاً.

– بي بي سي أونلاين نقلت عن الرئيس بوش الابن بتاريخ ٢٠٠١/٩/١٧ قوله: [تلك الحملة الصليبية، تلك

الحرب على الإرهاب سوف تكون طويلة الأمد].

– قال صموئيل هنتنغتون في مقالة له في مجلة شؤون خارجية أمريكية: [إن الاحتمال ضعيف جداً بأن تضعف هذه المجابهة العسكرية المستمرة منذ قرون بين الغرب والإسلام، بل إنها من الممكن أن تزداد شراسة وحدة...].

– شمعون بيرس في كتابه الشرق الأوسط الجديد: [... نحن شعب ذو حزم، وما من قوة على وجه البسيطة تستطيع أن تحملنا على مغادرة هذه الأرض بعد خمسين جيلاً من العيش في الشتات، خمسين جيلاً من الاضطهاد والعذاب والإبادة، لن نتزحزح من المكان الوحيد في هذه الدنيا الذي نستطيع فيه أن نجدد استقلالنا، ونكفل سلامتنا ونعيش باحترام وشرف...].

– ستيف دانليفي في جريدة النيويورك بوست بعد حادث يوم الثلاثاء يقول: [اقتلوا أولاد الحرام، ودربوا المغتالين، وقوموا بالتعاقد مع قتلة مأجورين، وخصصوا ملايين الدولارات لصائدي الرؤوس لجلبهم أحياءً أو أمواتاً، والأفضل أمواتاً، وأما بالنسبة للمدن التي تستضيف هؤلاء الديدان فاقذفوهم بالقنابل في ملاعب كرة السلة].

شُبَهُ نفاة الصراع الحضاري في الإسلام

هذه أفعالهم وأقوالهم وهي متطابقة، ويأبى المضللون، وبعض السذج من المسلمين إلا الحوار وينفون الصدام والصراع بين الحضارات، ويصر البعض من هذه الأمة على الحوار بين الأديان، ويخصون النصرانية بهذا الحوار، باحثين عن نقاط التقاء بين الإسلام والنصرانية كمحاربة الإلحاد، ناسين أو متناسين أن الكفر ملة واحدة ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾، فالله سبحانه خاطب الكفار بصيغة الجمع فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝﴾ ثم أفرد الدين فقال ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾. أو كالالتقاء على حل لقضية فلسطين. وهل أوجد دولة يهود وحافظ عليها وأمدها بالمال والسلاح والدعم إلا دول الكفر القائمة على الحضارة الرأسمالية؟! فالمضللون لهم وظيفة يؤدونها لأنهم عملاء فكريون، وأما السذج فإنهم يعبثون، ويشغلون أنفسهم بما لا طائل تحته، ويساهمون في تضليل العوام، ويدخلون في لقاءات وحوارات وندوات يدعو إليها اليهود أو النصارى، وهي دعوات مشبوهة، يريد الداعون لها أن يبعدونا عن ديننا، ويلبسوا الحق بالباطل،

وهم لا يألون جهداً في هذا ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾، ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾، أي تلين لهم وهذه الآية وإن كانت نزلت في مشركي مكة، إلا أنها تنطبق على كل كافر ومشرك، والآيات القطعية أثبتت، والصحابة أجمعوا، والأمة الإسلامية تعلم أن أهل الكتاب كفار، وعليه فلا يجوز مداهنتهم ولا اللين معهم، بل يجب بيان زيف دينهم، وكفرهم وباطلهم، ودعوتُهم إلى الدخول في الدين الحق، دين الإسلام، وبعد قيام دولة الخلافة يدعون إلى الإسلام فإن هم أبوا فالجزية فإن هم أبوا فالسيف. ومن التدليس أن يستدل بقوله تعالى ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ والسكوت عن تتمة الآية ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾، فالذين ظلموا منهم مستثنون من الجدال بالتي هي أحسن وهم الذين قاتلوا ولم يعطوا الجزية، فالمطلوب الانتصار منهم لا جدالهم بالتي هي أحسن.

ومن الخطأ الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ على (التعايش السلمي بيننا وبينهم) فهذا الأمر يفيد التهديد والوعيد، وإننا مأمورون فوق تهديدهم ووعيدهم بقتالهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية كما سيأتي، فأين التعايش السلمي؟!! أما الاستدلال بقوله تعالى **﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾** على ترك (الاختلاف الذي بيننا وبينهم في المعتقد والسلوك إلى الله يفصل بيننا يوم القيامة) فإن أريد عدم إكراههم على الدخول في الإسلام فهو صحيح، وإن أريد به أن الله سيفصل بينهم يوم القيامة فصحيح أيضاً، وإن أريد به ترك دعوتهم إلى دين الحق فهو قول باطل، لأننا مأمورون بحمل الدعوة إليهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية أو يقاتلوا، وإن أريد به عدم قتالهم فهو خطأ أيضاً لأن قتال الطلب فرض كما سيأتي.

وأما الاستدلال بقوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ

﴿يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٨﴾ على بر هؤلاء والعدل فيهم والإحسان إليهم، قيل إن كان المقصود بهذه الآية الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا فالاستدلال بها في غير محل النزاع، وإن كان المقصود كل أهل الأديان فالاستدلال صحيح في كل من لم يقاتلنا في الدين ولم يخرجنا من ديارنا، وهذا قطعاً لا يشمل كل من قاتل مسلمي فلسطين وأخرجهم أو ظاهر على إخراجهم، ولا يشمل أيضاً كل من يقاتل الأفغان اليوم ويخرجهم من ديارهم ويظاهر على إخراجهم، وكذلك ولا يشمل كل قوم يقاتلوننا في العراق منذ حرب الخليج الثانية، ولا يشمل الذين يقاتلوننا في كشمير ولا الذين يقاتلوننا في الشيشان وأمثالهم.

وإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿**وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا**﴾ على أن الإسلام دين سلام وأن السلام هو الأصل، فإن هذه الآية تفهم مع الآية ﴿**فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ**﴾ فإذا كان المسلمون على عزة وقوة ومنعة وجماعة فلا صلح، وتقدير ما فيه المصلحة من الصلح أو عدمه متروك

للخليفة، ولا اعتبار بتقدير غيره إلا أن يفوضه. وإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾ قيل هذه الآية لا بد من معرفة المخاطبين بها ثم معرفة معنى السلم، فالذين آمنوا تحتمل أن يكون المسلمون هم المخاطبين، وتحتمل أن يكون المخاطبون هم المؤمنين بالأنبياء قبل محمد، والسِّلم تحتمل أن يكون المراد منها الإسلام وتحتمل أن يكون المراد منها الصلح. فإن كان المراد بالخطاب المؤمنين بمحمد ﷺ فلا معنى أن يقال لهم ادخلوا في صلح المؤمنين لأنهم ليسوا محاربين بل هم مؤمنون مثلهم، وإنما يقال لهم ادخلوا في الإسلام كاملاً بمعنى طاعة جميع شرائعه وإقامة حدوده وأحكامه دون أن تتخيروا فتعملوا ببعضه دون بعض. وإن كان المخاطبون هم المؤمنين بالأنبياء السابقين فلا معنى للطلب منهم أن يدخلوا في الصلح، بل إنه لم يوجد في القرآن، قال الطبري: [فأما دعاؤهم إلى الصلح ابتداء فغير موجود في القرآن]، فيكون المراد دعوتهم إلى الإسلام، والدخول فيه، فأياً من كان المخاطب فإنه ليس فيه دعوة المسلمين للدخول في الصلح والسلام مع الكفار، أي

الموادعة.

وإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ٩٠﴾ على أن الكفار المسالمين المعتزلين لقتال المسلمين يحرم على المسلمين أن يبدأوهم بقتال، قيل إن هذه الآية متعلقة بالمنافقين الذين يتولون ويصلون إلى قوم بيننا وبينهم ميثاق أي يأخذون حكمهم في الموادعة أو خرجوا مع قومهم كارهين لقتالنا فاعتزلوا القتال كالذين خرجوا يوم بدر مع المشركين فليس لنا عليهم سبيل.

وإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ على أن ابتداء الكفار بالقتال عدوان وظلم ولذلك فنحن منهيون عنه، قيل إن موضوعها هو عدم مجاوزة المقاتلين إلى من وراءهم من النساء والصبيان الذين لم يقاتلوا.

وإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾ على إباحة القتال للمظلوم الذي بدأه غيره بالقتال، قيل إن الأمر بالقتال في هذه

الآية مطلق غير مقيد بحال دفع الظلم لأن قوله تعالى: ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ ليس علة للقتال بل هو وصف واقع، ذلك أن مشركي قريش كانوا يؤذون المسلمين أذىً شديداً وكانوا يأتون رسول الله ﷺ بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزلت هذه الآية التي أمرهم الله فيها بالقتال بعد أن كان يمنعهم منه، قال الضحاك [استأذن أصحاب رسول الله ﷺ في قتال الكفار إذا آذوهم بمكة فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ فلما هاجر نزلت ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾] وعلى هذا تكون الآية قد نزلت لرفع الحظر عن المسلمين بدفع الأذى عن أنفسهم، فهي في حالة معينة وإن أفادت الأمر بالقتال بدلالة الإشارة. فالكلام هنا سيق لبيان رفع الحظر والإذن بدفع الأذى بالقتال، فالآية لا تبين مشروعية القتال في سبيل الله وإنما تبين مشروعية القتال لدفع الأذى. فلا تعارض بين هذه الآية وآيات التوبة فوق أن آيات التوبة متأخرة. فلا نسخ ولا تخصيص ولا تقييد.

وإن استدلوا بحديث ابن أبي أوفى المتفق عليه قال رسول الله ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ**» هذا الحديث لا علاقة له بالمسالمة إذ فيه نهي عن تمني لقاء العدو لا نهياً عن قتاله، ولا أمراً بمسالمته، وقد قال العلماء إن هذا النهي لما في تمني لقاء العدو من صورة الإعجاب، فهو استدلال في غير محله. وهناك محاولات استدلال لا تستحق الرد، بل لا تستحق الذكر، ولكنّا نوردها لإثبات أن بعض هؤلاء القوم لا يتورعون عن لملمة الأدلة كيفما اتفق، المهم أن يثبتوا أن الإسلام دين سلام لا دين صراع ونضال وجهاد بل هو دين أمن وأمان وسلام وسماحة، فمما زعموه دليلاً في محل النزاع قوله تعالى: ﴿**وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** ۝٤﴾ وقوله ﴿**حَرَمًا ءَامِنًا**﴾ وقوله ﴿**وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ** ۝٣﴾ وقوله ﴿**وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**﴾ وقوله ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ**»، وهذا لعمري استخفاف بالشرع واستخفاف بعقول الناس.

رد شُبَه منكري جهاد الطلب

والقائلون بأن الإسلام دين سلام ينكرون جهاد الطلب أي مبادأة الكفار بالقتال، فهم يثبتون قتال الدفع وينكرون قتال الطلب أي المبادأة بالهجوم، ويذهب بعضهم إلى أنه لا لزوم له اليوم، إذ يمكن تخطي الحواجز المادية وإيصال الدعوة إلى الكفار دون اصطدام بهذه الحواجز، وذلك باستعمال الإنترنت والإذاعات والكتب والنشرات وببناء المساجد والمراكز الإسلامية في قلب بلدان الكفار، والاتصال الحي بالأفراد لإدخالهم في دين الله، ويزعمون أن هذا يجزئ عن قتال الطلب، وهذا القول مصادم لنصوص الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وكلها تأمر بأن نبدأهم بالقتال ولو لم يبدأونا إذا لم يسلموا أو يعطوا الجزية ويخضعوا لحكم الإسلام. وهذه النصوص ليست معللة بعلة أن **الجهاد يجب فقط في حال عدم إمكانية التبليغ القولي**.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿**قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ**

﴿ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ وقوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ وقوله عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾.

هذه الآيات من سورة التوبة وهي من آخر ما نزل ولم يرد ما يخصصها أو يقيدها أو ينسخها فتكون دليلاً على أن الجهاد يشمل الحرب الدفاعية والحرب الهجومية، أي قتال الدفع وقتال الطلب. وأما قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿أُذِنَ

لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ هذه الآيات وما شاكلها لا تصلح لأن تخصص عموم آيات التوبة ولا لأن تقيد مطلقها، لأنها كلها نزلت قبل آيات التوبة، والمتقدم لا يخصص المتأخر ولا يقيده، إذ التخصيص بمثابة النسخ لجزء من العام لأنه صرف الحكم عن عمومه بإبطاله في البعض ووضع حكم آخر مكانه، وما دام التخصيص بمثابة النسخ، والنسخ يشترط فيه أن يكون الناسخ متأخراً عن المنسوخ لذلك لا تصلح هذه الآيات لتخصيص آيات التوبة، لأنها متقدمة عنها في النزول، وآيات التوبة من آخر ما نزل في الجهاد فلا يتأتى التخصيص، وما قيل في التخصيص يقال كذلك في التقييد، فلا بد أن يكون النص المقيد متأخراً عن النص المطلق أو مصاحباً له حتى يكون قيداً له، أو حتى يصح حمل المطلق على المقيد. وعليه يبقى العام على عمومه لعدم وجود نص مخصص له، ويبقى المطلق على إطلاقه لعدم وجود نص مقيد يمكن أن يقيد به أو يحمل عليه.

وأما السنة فما أخرجه الشيخان من حديث عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى**

يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُوْلُ اللهِ وَيُقِيْمُوْا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهَمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ» وفي رواية أخرى **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»**، وما أخرجه مسلم عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: **«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تُمَثِّلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى إِحْدَى ثَلاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلالٍ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ، فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ،**

وَلا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ، إِلا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمْ الْجِزْيَةِ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ».

هذان الحديثان صريحان بأن الجهاد هو المبادأة بالقتال، وقد بدأ رسول الله ﷺ هوازن في حنين، وبدأ ثقيفاً في حصاره للطائف، وبدأ الروم في مؤتة وتبوك. وقد غزا في تسع سنين سبعاً وعشرين غزوة غير السرايا.

وأما إجماع الصحابة على أن الجهاد هو القتال في سبيل الله لنشر الإسلام وأنه مبادأة بالقتال فيكفي في إثباته فتح العراق وفارس والشام ومصر وشمالي إفريقية وخراسان وكابل وسجستان وغيرها. فقبط مصر لم يهاجموا المسلمين والبربر لم يهاجموهم والديلم لم يهاجموهم، وهذه بلاد كلها فتحت زمن الصحابة، وبدأوهم بالقتال وفتحوا هذه البلدان، فهل بعد هذا مجال للقول بأن الجهاد حرب دفاعية فقط، وأن الإسلام ليس فيه قتال طلب.

خاتمة

ومجمل القول إن صراع الحضارات أمر حتمي، كان في الماضي، وهو كائن اليوم وسيبقى إلى أن ينتهي الصراع قبيل الساعة حيث لا تقوم إلا على شرار الخلق. فلا تغتروا أيها المسلمون بدعاة الحوار الذين يضعون رؤوسهم في الرمال، ويغضون على الذل والهزيمة، وأعدوا للصراع عدته، فإن حضارة الغرب الرأسمالية قد صرعتكم عسكرياً وسياسياً واقتصادياً، ولكنها لن تصرعكم فكرياً، فعقيدتكم عزيزة على من يرومها، وهي لا تزال حية في النفوس، إلا أن بعض مفاهيم حضارتكم المتفرعة عن عقيدتكم، قد شابتها بعض الشوائب، ونالها شيء من الغبار، فاعملوا على تنقيتها ونفض الغبار عنها، بالرجوع إلى الكتاب والسنة، وإياكم أن تقبلوا قولاً بغير دليل، أو تقبلوا قولاً بدليل من غير مجتهد، أو من يخبر عنه، فهذا زمان الرؤساء الجهال، الذين يفتون بغير علم، فإياكم وإياهم، وابحثوا عن العلماء العاملين المخلصين، وخذوا عنهم دينكم، فإنهم مصابيح

الدجى، وهم اليوم قليل. واعلموا أن الغلبة والنصر في نهاية المطاف للإسلام والمسلمين. بهذا وعدنا الله ورسوله في الأخبار القطعية، فثقوا بجميل وعد الله، واعملوا لتنصيب خليفتكم، وإقامة جماعتكم على رجل منكم، ليعد العدة ويجمع الأمة ويرهب العدو ويحفظ البيضة، ويعدل في الرعية، ويقسم بالسوية، ويظهر الله على يديه هذا الدين على الدين كله ولو كره المشركون.

اللهم اهد أمة محمد لما يرضيك عنها، ويجعلها لنصرك أهلاً. يا أرحم الراحمين بك نستغيث ونستجير نحن ضعفاء ببابك، ضارعون بفنائك، مضطرون لعونك، فانصر دينك وحقق وعدك، وأنزل نصرك، ولك الحمد على كل حال.